لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

الجزء الرابع عن شوال سنة ١٣٢٩ — تشرين اول سنة ١٩١١

البريم او عبادان الحديثة

(١ تمهيد)

في الجهة الشرقية من البصرة الفيحاء ، موطنان شهيران اسمهما اسما مدينتين قديمتين كانتا في سابق العهد بعيدتي السمعة وهما : عبادان (وزان شداد بالتثنية والرفع) وقبان (كشداد) . وكانتا قبل ٥٠ سنة داخلتين في اقصى حدود البصرة ، ومعدودتين من اواخر السواد جنوباً ، اومن ذنائب العراق ، وهما اليوم في ملك دولة ايران . او ان شئت مزيد التدقيق فقل : هما اليوم من اراضي الشيخ خزعل ، امير المحمرة ، والمحمرة هي قاعدة امارته .

وليس كلامنا هنا عن عبادان وقبان معاً ، بل نجرى جواد قلمنا فى ميدان البحث عن الاولى ، لكونها اشهر من اختها فى التاريخ والموقع . ونبقى الكلام عن اختها الى وقت الحاجة . وقد سميناعبادان مدينة وان كان لايحق لنا ان نطاق عليها مثل هذا اللفظ ، لان ليس هناك مايصدق فيه ان يسمى بهذا الاسم ، وانما دعوناها كذلك اتباعاً للفظ القديم ، وجرياً على العادة ، ولانها الآن آخذة بالعودة الى سابق عزها وعمرانها ، وسوف تسمع بعد بضع سنوات بطائر شهرتها بعد ان تكمل عمارتها حتى تكسف شمس شهرتها بدر شهرة البصرة وبغداد ، بل وشهرة جميع ديار العراق . وسوف يؤمها ويقصدها كبار الناس وسراتهم واصحاب الثروة الطائلة ، حتى تصبح من المدن الجليلة التى لايمكنك ان تعارض بها بعد ذلك الا مدن ديار الافرنج بل ومدنها الكبار ، وحواضرها الواسعة الكثيرة السكان .

وان سالتنى عن سبب هذا التفاول الغريب وعن صدق هذا النبا، اقول : انشركة انكليزية كبيرة راس المال واسمهاAnglo - Persian Oil Cny تهتم باستخراج الزيت الحجرى ، (وهو النفط المعروف عند الافرنج باسم البترول) وقد ضمنت الاراضى التى ينبع فيها هذا السائل الجزيل الفائدة والعائدة لمدة سبعين سنة ، واسم الارض اليوم رامز (واسمها القديم (١) رامهرمز او رامهرمز اردشير) وهى

(١) قال عنها ياقوت مدينة مشهورة بنواحى خوزستان والعامة يسمونها رامز كسلاً منهم عن تمة اللفظة بكمالها واختصاراً . ورامهرمز من بين مدن

تشمل عدة مدن وقرى وهاك اسماء بعضها : مسجد سليمان ، وميدان النفط ، والناصرية (التى فى فارس لا التى على الفرات) وقصر شيرين ، ودار الخزينة وغيرها .

وقد جدت اليوم الشركة المذكورة بتعمير هذه المدينة على طرز لندن ، حتى ان كثيرين من الانكليز والوطنيين اخذوا يسمونها « لندن الصغيرة » وهى تسرع فى بنائها واى سرعة ، حتى انها بنت فى ثلاث سنوات مالا يبنيه اهل هذه الديار الشرقية الا فى ١٥ او ٢٠ سنة . هذا فضلاً عن انه لايكون الا دونه احكاماً ونظاماً وهندسةً وصبراً على الزمان .

والغريب فى هذه المدينة الحديثة ان تخطيطها لم يرسم فى الوطن عينه اوبعد النظر الى مواقع المدينة ، بل انما خط فى غلاسكو ، فيعمل بموجبه الرازة (٢) والمهندسون ، ولا يندون عن الرسم قدر شعرة او ذرة . وجميع مايأتيهم من بلادهم من ادوات ومواد مصنوعة ومهيئات يردهم على القدر المقدر فى الرسم ، فلا يعانى الرازة عناءً مذكوراً فى انزاله فى محله كما انك لا تتكلف مشقةً فى ارجاع المفرغ فى قالبه .

وعبادان واقعة على شط العرب ، ومراكب البحر تصل اليها وتقف فى مرساها الجديد الذى بناه الانكليز اهل الشركة المذكورة .

خوزستان تجمع النخل الى الجوز الى الاترج وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان وقد ذكرها الشمرآء اه كلامه (٢) الراز ويجمع على رازة رئيس البنائين وحرفته الريازة

وقد تم انتقاله في آخر يوم من شهر تموز ، ووقف فيه لاول مرة مركب « اناطوليا » في ٢٩ تموز من هذه السنة ١٩١١ .

ويبعد عن غربي عبادان بخمس دقائق ارض خالية خاوية اسمها بريم (مصغرة . ويلفظها العوام باسكان الاول) ، وهي تكاد تكون متصلة بعبادان لقربها منها : ولابد من ان تضم اليها يوماً فيجتمع من المدينتين بلدة كبيرة من اكبر مدن العراق .

(٢ معنى عبادان وبريم)

قال ياقوت الحموي في معجمه : قال البلاذري : كانت عبادان قطيعة لحمران بن ابان ، مولى عثمان بن عفان رضه ، قطيعة من عبد الملك بن مروان ، وبعضها فيما يقال : من زياد . وكان حمران من سبي عين التمر ، يدعي انه من النمر بن قاسط . فقال الحجاج يوماً وعنده عباد بن حصين الحبطي : مايقول حمران ، لئن انتمى الى العرب ، ولم يقل انه مولى لعثمان : لاضربن عنقه فخرج عباد من عند الحجاج مبادراً ، فاخبر حمران بقوله . فوهب له غربي النهر وحبس الشرقي فنسب الى عباد بن الحصين . وقال ابن الكلبي : اول من رابط بعبادان عباد بن الحصين » اه

وقال غيرهما : بل سميت عبادان نسبة الى العباد الذين كانوا منقطعين فيها . قلنا : وهذا غير صحيح : اولاً ، لان عين عبادان مفتوحة لامضمومة . ثانياً ، لان الالف والنون اللاحقتين باخر « عباد » هما

من قبل ياء النسبة عند اهل البصرة وهي لغة [illegible] السنهم الى يومنا هذا . الا ان هذا الالحاق النسبي الغرض بالاعلام لاغير . فتسمعهم يقولون الى اليوم يوسفان وسعيدان ومهيجان في النسبة الى يوسف وسعيد ومهيجر ، ولا يقولون غير ذلك . قال ياقوت: اما الحاق الالف والنون فهو لغة مستعملة في البصرة وغيرها انهم اذا سموا موضعاً او نسبوه الى رجل او صفة زادوا فرأيته مكاناً ونوناً كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى زياد بن ابيه زيادان ، واخرى الى عبد الله : عبد الليلان ، واخرى الى بلال بن ابي بردة بلالان . قال : وهذا الموضع فيه قوم مقيمون للعبادة والانقطاع ، وكانوا قديماً في وجه تغريبي الموضع بذلك . والله اعلم .

واما البرم فسميت كذلك لكثرة ما كان فيها من [illegible] البرم (مصغرة ، وهو ضرب من التمر حسن للغاية اصفر اللون صغير الشكل عذب الحلاوة . وهو الذي كان يسميه الاقدمون من [illegible] العرب : البرني نسبة الى برن بالفتح والاسكان . وهي قرية [illegible] نسب اليها التمر البرني . (عن معجم البكري) فالاصغر هو البرني قالوا البرني ثم حذفوا ياء النسبة للتخفيف والكثرة وقلبوا النون ميماً كما قلبوها في كثير من الالفاظ .

(٣ موقع عبادان وبريم وذكر اخبارها)

قال ياقوت : [موقعها] تحت البصرة قريب [illegible] دجلة اذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية [illegible]

ففرقة يركب فيها الى ناحية البحرين نحو بر العرب وهى اليمنى ، فاما اليسرى فيركب فيها الى سيراف وجنابة فارس ، فهى مثلثة الشكل ، وعبادان فى هذه الجزيرة التى بين النهرين ، فيها مشاهد ورباطات ، وهى موضع ردئ سبخ لاخير فيه . وماؤه ملح ، فيه قوم منقطعون عليهم وقف فى تلك الجزيرة ، يعطون بعضه ، واكثر موادهم من النذور ، وفيه مشهد لعلى بن ابى طالب رضه وغير ذلك ، واكثر اكلهم السمك الذى يصيدونه من البحر ويقصدهم المجاورون فى المواسم للزيارة ، ويروى فى فضائلها احاديث غير ثابتة . اه كلامه

وقد قال صاحب دائرة المعارف : وليس لعبادان [اليوم] من اثر باقٍ . فان مياه شط العرب تجرى الآن الى خليج فارس من مصب واحدٍ وليس هنالك جزيرة على ما وصفوا فقد اكلتها المياه (كذا) اه. قلنا : وقد وهم صاحب الدائرة لان البحر يجزر هناك ولا يتقدم او يمد . ومن ثم لم يأكل شيئاً ، وانما فاضت تلك المياه ونشفت فانحسرت ارضها . وعبادان واقعة اليوم على شط العرب على عدوته اليسرى ويحيط بها من الشرق عدة انهر لاسيما نهر بهمشير وحولها مستنقعات كثيرة تنشف مياهها فى ايام الصيف . وهى تبعد اليوم عن البحر قراب ٢٠ كيلومتراً . ولكونها محاطة بالمياه يصدق عليها لقب الجزيرة الى الآن .

وبريم تبعد عن عبادان زهاء خمس دقائق او اكثر بقليل . وفيها الآن آثار ابنية قديمة يقال انها آثار حصن بناه فى سابق العهد عبد

لهرون الرشيد اسمه خصيب سكن فى الموضع المعروف اليوم بالبريم فعمر ذلك القصر .

وارض عبادان اليوم مع ارض البريم خصبة جداً وهواؤها على احسن مايرام . والماء عذب فرات . وليس فى هذين الموضعين وبالة كما فى ارض البصرة وجوارها .

(٤ً مذهب اهل عبادان)

قال السيد ابراهيم فصيح الحيدرى فى عنوان المجد (وهو كتاب خط): « كان اهل عبادان كلهم مع نواحى المحمرة فى القديم على مذهب الامام الشافعى رضه كالبصرة ونواحيها ، ثم تشيع جميع اهل عبادان ونواحى المحمرة فى القديم كلهم ، وما بقى منهم احد من اهل السنة والجماعة سوى بعض الافراد من الدورق من عشيرة كعب .» اه

(٥ً وجود قرى كثيرة فى جوار عبادان)

كان يقال سابقاً : « ليس ورآء عبادان قرية » قال المجد فى شرحه لكلمة عبادان :

«عبادان جزيرة احاط بها شعبتا دجلة ساكبتين فى بحر فارس» . اه . واما اليوم فورآء عبادان قرى عديدة . ويطوف بها من جهة الشرق نهر بهمشير الحاجز بينها وبين المحمرة الى ان ينتهى الى البحر الفارسى او خليج فارس . فعبادان هذه واقعة على جهة النهر المذكور الغربية وعلى جهته الشرقية قرى قبان ، وشاطئ نهر بهمشير المقابل لراس

جزيرة عبادان من جهة الشمال يسمى الخمرة وهو غير الخمر المشهورة الآن بهذا الاسم اه

قال السيد ابراهيم الحيدري المذكور : ويدخل في جانب جزيرة عبادان من الجهة القبلية (من القرى التي هي) من املاك الدولة العلية قريباً : (ام الرصاص ، والحدة ، (بتشديد الدال) ، ونهر الشيخ وحوش الناس ، وجزيرة الحلة ، والتنطيط ، والبرج ، والويرة (هذه الثلاث تلفظ مصغرات) والنجوى ، وقصبة النصار) وهي آخر جزيرة عبادان ، وسميت قصبة لانها منبت قصب . واما ما على جانب جزيرة عبادان من الجهة الشرقية (نهر الحجاج ، وكوشته (بتشديد الاول) ونهر الحدادين ، ونهر محبوب ، والصويخ (مصغرة) فهذه كلها معمورة وباقي القرى لا غرس فيها [ولهذا لا نتعرض لذكر اسمائها] . اه

واما بازاء نهر الدعيجي : فخميسة (مصغر خميسة) ، وسعيدان (مصغرة) ، ونهر يوسف والشاخورة ، والسوري ، والمدينة ، والطين . (متاة)

(٦ علماؤها)

خرج منها عدة زهاد وعباد ومحدثين وعلماء ، ذكر بعضهم ياقوت في معجمه . وممن اشتهر منهم في اواخر هذه الازمان : ابن قاسم العبادي وهو الذي حشى تحفة ابن حجر المكي الهيتمي ، وله حاشية

على جمع الجوامع فى الاصول اسمه : الآيات البينات ، وشرح الغاية فى فقه الشافعية ، وحاشيته على حاشية القانى المصرى على شرح التصريف للتفتازانى ، وحاشيته على حاشية عصام الدين على شرح الكافية للجامى وغير ذلك من الكتب .

وفى العدد القادم نذكر بداية عبادان الجديدة مع التفاصيل المتعلقة بها .

كتاب الصبوح والغبوق

لعله من تآليف شمس الدين محمد بن حسن بن على بن عثمان النواجى القاهرى الشافعى صاحب حلبة الكميت ، المتوفى سنة ٨٥٩ هـ = ١٤٥٥ م .

عدد قوائمه ١٥٥ وفى كل صفحة من صحفه ١٩ سطراً بخط نسخى واضح . طوله ١٥ سنتيمتراً فى عرض ١١ سنتمتراً .

هذا الكتاب من اسفار الاديب انطون افندى سمحيرى فى بغداد واسم المؤلف لم يذكر فيه لا فى صدره ولا فى آخره . الا انه يؤخذ من الصفحة ١٤٣ ان كاتب السفر ادرك عبد الوهاب بن حسن بن جعفر الحاجب وعاشره . فلعله اذاً للنواجى ومنه نسخة فى خزانة كتب برلين الملكية عددها ٨٣٩٦ .

وقد جاء فى آخر النسخة : « تم الكتاب بعون الملك الوهاب فى